الرائدة المحسنة

إن الإحسان إلى ذوى الحاجات فضيلة من أشرف فضائل العظمة الإنسانية ، وأقربها إلى الصفات الإلٰهية ، لأنها قوة فى العظيم تعمل عملها فى إعانة الضعيف ، ولا تعمل عملها فى إذلاله وإرغامه ، على ديدن العظمة التى قد توصف بأنها قوة فرد عظيم ، ولكنها لا تنسب إلى الإنسانية ولا تسمو إلى مقاربة الصفات الإلٰهية .

وقد كانت السيدة نفيسة المرادية ، امرأة واسعة الثراء ، بفضل ما أورثها إياه زوجها على بك الكبير سلطان مصر ، وما كان عليه زوجها الثانى مراد بك من منعة وجاه ومال . وكان حرى بها وهى سيدة مترفة تقيم فى قصر باذخ ، وتنعم بالخدم والحشم والإماء ، أن تركن إلى حياة الدعة ، وتستسلم إلى دواعى السعادة والنعيم فى ظل هذا الثراء المقيم ، شأنها شأن جميع نساء حكام المماليك فى جميع عهودهم ، بل شأن المرأة الغنية عامة فى بلاد الشرق جمعاء .

ولكنها كانت ذات قلب رحيم ، وعقل حكيم ، ولب فطين ، فكان حب الخير والإحسان إلى المعوزين والضعفاء من أقوى الصفات التى ملكت عليها فكرها وأصبحت شغلها الشاغل . وقد استثمرت بذلك مالها خير الاستثمار ، فلم تعن بتكديس الأموال ، ولا بجمعها ومنعها ، بل أظلت بها الفقراء بعطفها ، وأطعمت الجائع ، وكست العريان وأغاثت الملهوف ، ودفعتها لإطلاق الأسرى والإفراج عن المساجين الأبرياء أثناء